المحتويات

ص

المسرحيات المفقودة لنعوم فتح الله السحار دراسة ونصوص للاستاذ الدكتور علي محمد هادي الربيعي	أ.م.د. احمد قتيبة يونس	٢
الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والاداري	م.د. مها سعيد حميد	٥
ريف الموصل في العصر العباسي من ق ٤ إلى منتصف ق ٧ هـ ـ دراسة سياسية / حضارية	م.د. محمد نزار الدباغ	٩
تاريخ الطب في الموصل عبر العصور للدكتور محمود الحاج قاسم	م.د. حنان عبد الخالق علي	١٣

المسرحيات المفقودة لنعوم فتح الله السحار

دراسة ونصوص للأستاذ الدكتور على محمد هادي الربيعي*

أ.م.د. أحمد قتيبه يونس

يعد كتاب (المسرحيات المفقودة لنعوم فتح الله السحار) من الكتب المهمة في دراسة وعرض النصوص، وهو جهد طيب للدكتور علي الربيعي الذي قام بجمع مخطوطات تلك النصوص من كنيسة مريم العذراء في الكرادة/ بغداد، من الأب بطرس حداد** كما زار كنائس الموصل وكنائس الحمدانية، وأربيل، وقد حضر إلى الموصل أكثر من مرة، من أجل لالتقاء بالقائمين على المكتبات في الكناس، والحصول على المعلومات، إذ يقول في هذا الصدد: "ففي أثناء رحلة بحثي في المكتبات العامة والخاصة رحت أبحث أيضاً في مكتبات بعض المؤسسات التي أحسب أنها الراعي الأولى للفن المسرحي في العراق وأقصد الكنائس والأديرة. فزرت كنائس في بغداد والموصل وأربي، ورحت أطلع على ما متوافر في مكتباتها وخزائنها من وثائق ومخطوطات عامرة، وأثمرت هذه الزيارة عن زادٍ وفيرٍ"[١]

طبع كتاب (المسرحيات المفقودة لنعوم فتح الله السحار) في دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع/ المملكة الأردنية الهاشمية/ عمان/ سنة ٢٠١٣م. وهو مكون من (٥١٢) صفحة من الحجم الأكبر من المتوسط،

وهذا الكتاب هو إماطة اللثام عن مسرحيات يعود تاريخها إلى سنة ١٨٩٠م، وهو إضافة مهمة إلى مسرد المسرح العراقي.

ولعل الدكتور الربيعي تناول هذا الكتاب من الخطوط الذي حصل عليه من الأب بطرس حداد، إذ "حوت المخطوطة خمس مسرحيات هي: إياك ومعاشة الأشرار، لطيف وخوشابا، الافيان الأسيران، الرأس الأسود، الدراهم الحمراء"[٢]

ولعله قام في هذا الكتاب إلى عرضها وتحليلها ودراستها من خلال تقسيمه للكتاب في قسمين، تناول القسم الأول (الدراسة والتحليل) وقد قسمه إلى ستة فصول، عرض في الفصل الأول حياة ومسرح نعوم فتح الله السحار، تعرض فيه إلى حياة السحار بشكل مفصل من ولادته في الموصل سنة ١٨٥٨م، وما أحاط به في تلك الحقبة، فضلاً عن ثقافتهن وتكوينه المعرفي في فترة التواجد العثماني، وآثاره في على الشارع العراقي بشكل عام والشارع الموصلي بشكل خاص، حتى وفاة السحار في ١٩٠٠/٣/٢٠م.

أما الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس من القسم الأول فقد تناول أسماء مسرحيات السحار الخمسة، إذ عرض الدكتور الربيعي، في الفصل الثاني، مسرحية (إياك ومعاشرة الأشرار) بالدراسة والتحليل، إذ يتناول في البداية عرض المتن الحكائي للمسرحية ثم يتناول مقتطفات من النص ليسلط الضوء عليه من خلال العمل على قراءة الأحداث والشخصيات الواردة في النص، وكذلك الحال في الفصل الثالث الذي تناول فيه مسرحية لطيف وخوشابا، والفصل الرابع الذي تناول فيه مسرحية الفتيان الأسيران، والفصل الخامس الذي تناول فيه مسرحية الرأس الأسود، والفصل السادس الذي تناول فيه الدراهم الحمراء،

أما القسم الثاني من الكتاب فقد شكل الجزء الأكبر من الكتاب إذ تناول في عرض بعض الصور من مخطوط المسرحيات، كما أورد النصوص الخمسة كاملة.

إن هذا الكتاب يبلغ مكن الأهمية الشيء الكبير، لأنه سيكون المرجع لتلك النصوص التي أولفت في القرن التاسع عشر في الموصل، وهي بدايات المسرح في العراق.

ولعل الدكتور الربيعي تعامل مع المخطوط عند نشرها كما هي، فحافظ على شكلها ومحتواها بأغلاطها الإملائية، وأخطائها اللغوية، إذ يقو في هذا الصدد: "لقد تعاملنا مع المخطوطة المسرحية عند نشرها على وفق مسار منهجي، إذ لم نسمح به لقلمنا أن يمتد مداده إلى متنها. فحافظت المخطوطة على شكلها ومحتواها بأغلاطها الإملائية وأخطائها

اللغوية ولغتها المتقلبة بين الفصحى والعامية أو الخلط بينهما، وحواراتها الطويلة التي خلت من علامات الترقيم فزادت من وعورة معانيها وصعوبة فهم مرادها أحياناً"[٣]

وتحدد منهج الدكتور علي الربيعي في إعداد هذا الكتاب على النحو التالي:

١- التعريف بالكلمات التي كتبت باللهجة المحلية الموصلية، ومقابلتها باللغة العربية الفصحى.

٢- اقتراح الكلمات المناسبة التي ظنَ أنها سقطت من الحوارات المسرحية أثناء النسخ في ضوء السياق اللغوي أو السياق في المعنى.

٣- تفسير بعض الجمل في الحوارات المسرحيية.

٤- شرح ما ورد في النصوص المسرحية من أمثال شعبية وعامية.

٥- مضاهاة الكلمات التي غلط الناسخ في إملائها بالكلمات الصحيحة أينما وجدت.

٦- الإشارة أحياناً إلى بعض الكلمات التي سقطت عنها الهمزة. مثل (قرا= قرأ) و(ابني= أبني) و(اخ= أخ)..... إلخ.

٧- الإشارة والتنبيه إلى الكلمات الواحدة ذاتها التي كتبت بأكثر من صورة إملائية.

٨- التعريف بالأحداث التاريخية التي ورت على لسان الشخصيات.

الهوامش:

* رئيس قسم الفنون المسرحية/ كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل.

** ناظم ميخائيل حداد ولد في الموصل ١٩٣٨، وتوفي في بغداد ٢٠١٠

(١) المسرحيات المفقودة/ علي محمد هادي الربيعي/ ١١.

(٢) المسرحيات المفقودة/ ١٣.

(٣) المسرحيات المفقودة/ ١٥.

الجزيرة الفراتية والموصل

دراسة في التاريخ السياسي والاداري

١٢٧-٢١٨هـ/٧٤٤-٨٣٣م

م.د. مها سعيد حميد

إن هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير قدمت من قبل الباحث محمد جاسم حمادي وجرت مناقشتها سنة ١٩٧٥ في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد ونالت تقدير جيد جداً، وقد قامت جامعة بغداد بطبعها سنة ١٩٧٧، بدار الرسالة للطباعة، وتضمن الكتاب في بدايته قائمة بالرموز المستعملة بالكتاب ومقدمة تضمنت أهمية الدراسة ونبذة عن فصول الكتاب،وكذلك تحليل لأهم المصادر والمراجع التاريخية والأدبية، وبعض الخرائط،ثم الملاحق وعددها (٦)،وقائمة بالمصادر والمراجع وفهرست بالكتاب وقائمة بالخطأ والصواب لبعض الكلمات، وهو كتاب من الحجم الوسط يقع في (٨٧٢) صفحة.

وقد ذكر الباحث سبب اختيار هذا الموضوع قائلا:" فأن اختياري وقع على موضوع "الجزيرة الفراتية والموصل بين سنتي ١٢٧/٧٤٤م-٢١٨هـ/٨٣٣م" وان سبب إدخال الموصل في عنوان الرسالة يعود لكونها قاعدة الجزيرة ولأنها حفلت بأحداث تاريخية مهمة، وهذا ما ينعكس من خلال البحث ويبرر التأكيد عليها، ويعود سبب اختيار مدة البحث في هذه الحقبة الزمنية إلى ان الجزيرة قد أصبحت مركز نشاط الادارة الأموية خلال الحقبة الأخيرة من العصر الأموي... أضف إلى ذلك تمتع إقليم الجزيرة بمركز مهم في أدارة الدولة من حيث احتلاله موقعاً استراتيجياً مهماً فهو مواجه للحدود البيزنطية العدو الدائم ومصدر الخطر المستمر للدولة العربية الاسلامية، إضافة إلى انه يعتبر حلقة الوصل بين شرق الدولة الاسلامية وغربها مع أهمية الإقليم الاقتصادية سواء من حيث الانتاج ومن حيث الموقع على طريق التجارة الرئيسي القديم، كما ان الاقليم في هذه الحقبة التاريخية شهد أحداثاً تاريخية كثيرة وكان مسرحاً لحركات متعددة كحركات المعارضة السياسية الأموية للعباسيين...".

وتضمن الكتاب سبعة فصول تناول الفصل الأول الجغرافية العامة للجزيرة الفراتية والموصل وما يتعلق بها من تسمية الجزيرة وحدودها وتضاريسها ومناخها ومواردها المائية،كما تناول تعريفاً للمدن الجزرية وأعمالها مع التركيز على التحولات الطارئة عليها في مدة البحث المشار إليها، كما تناول عناصر السكان فيها مبيناً لنا كيف ان الجزيرة كانت مزيجاً مختلطاً من القبائل العربية وغيرها من العناصر السكانية الأخرى، كما ركز على الديانات التي دانت بها عناصرها السكانية من غير المسلمين وإظهار التسامح الديني للدولة الاسلامية إزاء هذه الطوائف، فضلاً عن عناصر السكان مما يعكس معرفة دوافع كثير من الحركات المعارضة وخاصة القبلية منها، و أسهب المؤلف في الوصف الجغرافي لمنطقة الجزيرة والموصل وقد كان محقاً في ذلك، لاسيما وان عوامل الجغرافية لها أثر بالغ في حركة القبائل والسكان المحليين فيها، الا ان ما أغفله المؤلف هو عدم ذكره الحياة الاجتماعية لتلك القبائل لا سيما في مناطقهم الأولى إذ ان من المعروف أنهم قد نقلوا مفردات حياتهم اليومية وأعرافهم وتقاليدهم إلى المناطق التي هاجروا إليها في الجزيرة والموصل.

أما الفصل الثاني فتناول دراسة الاقليم من الناحية الاقتصادية بما في ذلك الزراعة والإقطاع والثروة الحيوانية، فضلاً عن الصناعة والمعادن والحرف المعروفة آنذاك، وكذلك التجارة واهم الأسواق وطرق المواصلات الموجودة آنذاك، كما تضمن دراسة الموارد المالية للإقليم الجزيرة وطرق جبايتها وأوجه صرفها،وخاصة الخراج الذي كان يشكل مورداً مالياً مهماً لبيت المال المركزي خلال مدة البحث، وذلك لما تتمتع به المنطقة من ثروة زراعية كبيرة.

أما الفصل الثالث من الكتاب فتطرق إلى الأوضاع التي مرت بها الجزيرة الفراتية أثناء انتقال السلطة فيها من الأمويين إلى العباسين، ودراسة موقف الجزيرة والموصل من الدعوة والثورة العباسية وتحليل لسير بعض المعارك العسكرية بين العباسين والأمويين مثل معركة الزاب، وكيفية استيلاء القوات العباسية على الجزيرة وموقف مدينة الموصل من الحكم العباسي الجديد.

وركز الفصل الرابع على دراسة الوضع الإداري في الجزيرة بعد خضوعها للخلافة العباسية، وتضمن الفصل محورين أساسيين الأول بحث سبب اهتمام الخلافة العباسية بإدارة الإقليم وتفقدها لأحوال سكانها التي كانت مزيجاً من مختلف العناصر، وإسهام الدولة العباسية في إقامة بعض التحصينات العسكرية مثل القلاع والحصون في الجزيرة الفراتية

لأحكام السيطرة الإدارية عليها،وبحث المحور الثاني من هذا الفصل تحليل السلطة السياسية والإدارية للولاة والعمال العباسيين وأعمالهم التي أنجزوها في الجزيرة والموصل.

أما الفصل الخامس فاستعرض حركات المعارضة الداخلية أثناء مدة البحث وخاصة نشاط الخوارج الذين كانوا مصدر قلق وعاملاً أساسياً في خلق الفوضى والاضطراب وكيف انهم حققوا عدة انتصارات على جيوش الخليفة الأموي مروان بن محمد، وبعد انتقال السلطة إلى العباسيين عادت المعارضة إلى سابق نشاطها وقوتها إذ يمكن اعتبارها استمراراً لنشاطها في عصر الدولة الأموية بعد مدة ركود مؤقت، إذ قامت عدة مواجهات ضد الدولة العباسية منها مواجهة الفضل الشيباني سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) ومواجهة العطاف الشاري سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م)، ولعل أعنفها مواجهة الوليد بن طريف الشاري سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) غير ان الخلافة العباسية بموقفها الحازم والقوي تمكنت من القضاء على مثل هذه المعارضات الخارجية قضاءاً مبرماً.

وفي هذا السياق نجد ان المؤلف قد وقع تحت تأثير السرد التاريخي دون الوقوف مليئاً ببعض الأحداث التي تحتاج إلى ربطها بما حصل في الجزيرة والموصل من عوامل مؤثرة لنشاط الخوارج، إذ يبدو ان الحركة الفكرية للخوارج قد تحولت إلى نشاط معارض ومسلح، حتى أنهم أصبحوا مشكلة لمن في السلطة أبتداءاً من العصر الأموي وبدايات العصر العباسي، ويلاحظ ان المؤلف قد وقع مابين سعة الموضوع واضطراره إلى اختصار الأحداث التاريخية، وبالتالي تبقى وجهة نظر المؤلف ومشرفه هي التي وصلت إلينا.

أما الفصل السادس فبحث في حركات المعارضة الأموية بالجزيرة الفراتية وكيف ان إجراءات الشدة التي مارسها العباسيون من اجل كبح جماح الأمويين وأنصارهم أثارت أهل الجزيرة والشام الذين كانوا من أنصار الأمويين، وكيف أدى ذلك إلى معارضتهم للعباسيين بثورات عديدة أنهكت القوات العباسية في السنوات الأولى من الحكم العباسي ولعل اعنف هذه الحركات وأخطرها حركة عبد الله بن علي وذلك سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م) الذي كان قائد الجيوش العباسية التي قضت على الحكم الأموي وأسقطته، فضلاً عن ان أهل الشام والجزيرة كانوا يشكلون النواة الأساسية لحركته التي قامت والدولة العباسية لا زالت في دور النشوء والتكوين والأوضاع غير مستقرة بعد، والأخطار محيطة بها من كل جانب سواء في العراق والشام ومصر وحتى خراسان قاعدة الثورة العباسية ومنطلقها.

كما تحدث هذا الفصل عن أسباب ونتائج هذه الحركات التي اتصفت بالتجزئة وانعدام التخطيط المسبق للقيام بهذه الحركات، وعدم وضوح الأهداف المتوخاة من القيام بها، وفقدان النظام الموحد الذي يجمع قواها أمام القوات العباسية الأمر الذي أدى إلى فشلها فشلاً ذريعاً إذ لم تجرؤ على القيام بتحدي آخر لفترة طويلة من الزمن.

وتضمن الفصل السابع والأخير سرداً لعدد من الحركات المعارضة الأخرى التي ثارت بوجه العباسيين وخاصة المعارضة القبلية وموقف الولاة والخلفاء منها،التي تعكس لنا موقف كثير من قبائل الجزيرة والموصل المعادي للعباسيين من جانب، وطمع بعضهم في السلطة من جانب أخر خاصة في مدينة الموصل التي كانت بؤرة للحركات القبلية المسببة للفوضى، إذ كانت أحداث الصراع والفوضى القبلية تتكرر كل سنة تقريباً في هذه المدة، التي تسببها القبائل لأسباب بسيطة إذ كانت العصبية القبلية لها أثرها الفعال في خلق الفوضى والاضطراب في المنطقة.

ريف الموصل في العصر العباسي
من ق ٤ إلى منتصف ق ٧ هـ ـ دراسة سياسية / حضارية

م. د. محمد نزار الدباغ

تعد مناطق ريف الموصل من بما تحويه من مدن وقرى مصدراً هاماً لدراسة تاريخ الموصل وبالرغم من وجود بعض الدراسات التاريخية على صعيد البحوث العلمية التي تكلمت عن بعض مدن وقرى ريف الموصل وخصوصاً في القرون المتأخرة وتحديداً ما بعد القرن (٦هـ/١٢م) سواء ما كان منها يتعلق بالجانب السياسي والحضاري، إلا أننا لم نجد دراسة مستقلة تناولت ريف الموصل جامعة للجانبين السياسي والحضاري، وهذا ما دفع الباحثة **جارية شكري رمضان رسول الكوراني** إلى اختيار هذا الموضوع ليكون جزءاً من أطروحتها للدكتوراه والمعنونة بـ(**ريف الموصل في العصر العباسي من القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع للهجرة – دراسة سياسية / حضارية**) والتي قدمتها إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل، وتم مناقشة محتوياتها في سنة ٢٠٠٦ وبأشراف الدكتور عبد الجبار حامد احمد.

وذكرت الباحثة أن الذي دفعها إلى اختيار هذا الموضوع هو عزوف الباحثين عن دراسة مناطق الريف بسبب قلة المعلومات الواردة عنه، والغموض الذي اكتنف بعض الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالمناطق الريفية، فضلاً عن ذلك فقد كان التركيز على المدينة أكثر من الريف، لوفرة المعلومات عنها. لذلك فإن ريف الموصل لم يأخذ نصيبه من الدراسة كما أخذته مدينة الموصل نفسها.

وقامت الباحثة بتقسيم البحث إلى مقدمة، وخمسة فصول وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع. وشمل الفصل الأول المعالم الجغرافية لريف الموصل، فضلاً عن بيان أبرز تلك المعالم ومدى تأثيرها في البيئة والسكان، كما شمل الفصل دراسة للتنظيم الإداري في الريف مع ذكر أبرز المناطق الريفية التي كانت تابعة للموصل في مدة البحث.

وتناولت الباحثة في الفصل الثاني الأوضاع السياسية لريف الموصل، فقد تم توضيح ذلك، ابتداءاً من حكم الدولة الحمدانية والعقيلية وسيطرة السلاجقة، ثم مجيء عماد الدين

زنكي الذي شمل حكمه مناطق واسعة من ريف الموصل، فضلا عن سيطرته على مناطق بعيدة عن ريف الموصل، التي كانت آنذاك تابعة إدارياً للموصل على الرغم من أنها كانت مناطق عامرة، تمثل مدناً لها كيانها كمدينة (اربل ونصيبين وتكريت وجزيرة ابن عمر وغيرها من المدن). كما تم توضيح دور بدر الدين لؤلؤ وسياسته في مناطق ريف الموصل حتى إستيلاء المغول على الموصل وريفها سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م) كما تناول هذا الفصل جملة من الأحداث السياسية التي شكّلَ ريف الموصل مسرحاً لها، إذ أدت إلى تعرضه لسيطرة حكومات مختلفة، فضلاً عما أصابه من تدهور في الوضع وفقدان الأمن وشعور الفلاحين بالقلق والخوف على أراضيهم إلى جانب هجرتهم، وترك أراضيهم بسبب إختلاف سياسة الأمراء، والحروب المستمرة.

أما الفصل الثالث فقد عني بالحياة الاجتماعية موضحاً التركيبة الاجتماعية لسكان ريف الموصل إلى جانب ذكر الباحثة أبرز الطوائف الدينية التي عاشت جنباً إلى جنب على الرغم من كل الظروف وهي سمة من سمات مجتمع ريف الموصل منذ القدم، فضلاً عن ذكر أبرز العادات والتقاليد المشتركة بين الريف والموصل مع الإشارة إلى لغة سكان الريف.

وجاء الفصل الرابع ليوضح الاحوال الاقتصادية لمجتمع ريف الموصل، وقد شمل (الزراعة والصناعة والتجارة) وتأثير كل نمط من الأنماط الاقتصادية في المجتمع. لاسيما أن التنوع كان من أبرز السمات الاقتصادية لريف الموصل من خلال ما نتج من أنواع المحاصيل إلى جانب الثروة الحيوانية، وأسهم كل ذلك في قيام صناعات متنوعة شجعت على زيادة نشاط التجارة والأسواق، كما تم توضيح سياسة الأمراء الاقتصادية، وما قدموه من عناية ورعاية في خدمة الزراعة والصناعة والتجارة، بوصفها عوامل حفزت المجتمع على الاستقرار في الريف، كما لا يخلو الفصل من ذكر الموارد المعدنية التي لعبت دوراً في تنشيط الصناعة والتجارة.

أما الفصل الخامس فقد عني بطبيعة النشاط العلمي اعتمادا على وجود المؤسسات التعليمية من مساجد ومكتبات وربط وزوايا، لاسيما أن الريف الموصلي لم يخلُ من تلك المؤسسات على الرغم من أن المعلومات جاءت قليلة نسبياً مقارنة بمدينة (الموصل)، ويدخل ضمن الفصل أيضاً الحديث عن أبرز العلوم والعلماء الذين برعوا فيها، وما قدموه من تصانيف في المجالات العلمية المتنوعة، التي شهدت رعاية وعناية ودعماً كبيراً من الأمراء وبمختلف الفترات.

واعتمدت الباحثة في دراستها على جملة من المصادر الأولية المخطوطة والمنشورة، وعدداً من المراجع العربية والمعربة والرسائل الجامعية والبحوث العلمية، وقد قدمت تلك الكتب والبحوث مجتمعة معلومات قيمَة عكست صورة ريف الموصل، ومما يميز هذه الأطروحة أن الباحثة عرجت على تناول بعض المصادر والمراجع التي يعد البعض منها نادراً والبعض الآخر ربما حصلت عليه عن طريق المراسلة البريدية ويبلغ عدده اثني عشر كتاباً وبحثاً والذي عزز من قيمة وقوة هذه الدراسة ونذكر من هذه المصادر والمراجع كتاب **(نزهة القلوب)**،لابن أبي بكر محمد حمد الله المستوفي (مجهول الوفاة) وهو من المصادر الفارسية المهمة التي قدمت معلومات جغرافية واقتصادية عن ريف الموصل، ومن المصادر والمراجع السريانية التي قدمت مادة مهمة عن ريف الموصل نذكر **(تاريخ إيليا برشينايا)** لإيليا برشينانا، فضلا عن كتاب **(ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان)** لبطرس نصري الكلداني، وكلا الكتابين من المصادر قديمة الطبع ويعدان بحكم النادرين، زيادة على بحث **(قرى النصارى)**، المنشور في مجلة لسان المشرق العدد الأول، السنة الأولى، بيروت : ١٩٤٩م مصدر بقلم بولص بهنام، وأخيرا **(الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية في المقاطعات الوسطى والجنوبية وفي لواء الموصل)**، وهو تقرير قدم إلى جمعية الدراسات الاجتماعية جامعة الموصل،(الموصل : ١٩٥٤م) ولا نعلم مصير هذا التقرير المهم الذي يسلط الضوء على حياة سكان الريف في الموصل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية.

وتوصلت الباحثة في نهاية دراستها إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بما يلي :-

*** ضمت الموصل عدداً من الأعمال (الأرياف) اختلفت بعضها عن بعض من حيث المساحة والحجم السكاني فكان البعض منها صغيراً ومعالمها غير واضحة، والبعض الآخر كبيراً ترتبط به عدد من القرى والنواحي.**

*** إن التنظيم الإداري لريف الموصل كان يتسم بتولي الأمراء في تلك المناطق إلى جانب المسئولين على أمرها في كل وحدة إدارية من أجل تحقيق نوع من التوازن الإداري والقضاء على الظواهر السلبية التي قد تسبب إرباكا واضطراباً لأمن المركز (الموصل)، فطبيعة التنظيم الإداري والمؤسسات التي وجدت في مناطق ريف الموصل سواءً كانت مؤسسات حديثة فرضتها الأوضاع (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) أم موجودة سابقاً هدفها تنظيم الأوضاع وتحقيق الاستقرار للمجتمع والدولة الحاكمة.**

*** لاشك بأن العوامل السياسية، قد أثرت في الأوضاع الأخرى، كما أنها أدت في كثير من الأحيان إلى تعرض الأرياف إلى هجمات البدو والقوى الأجنبية، مما شكل بإستمرار زيادة مخاوف الفلاحين**

وقلقهم من المصائب التي قد تلحق بهم وباراضيهم الزراعية، مما يؤدي إلى زيادة الغلاء وفرض ضرائب جديدة على الأراضي الزراعية، وبالتالي يخلق نوعاً من التذمر وعدم الاستقرار فيكون دافعاً إلى ترك الفلاحين لأراضيهم والهجرة إلى مناطق أكثر أمناً وإستقراراً. كما شهدت المدة – موضوعة البحث – حوادث سياسية كثيرة كان لها تأثير على ريف الموصل، مثلما كان لها تأثير على الموصل نفسها ؛ بسبب الترابط والولاء بين الخلافة والموصل وريفها.

* إن الظروف السياسية أدت إلى إنفصال عدد من المناطق التي كانت تابعة أدارياً للموصل ولفترات زمنية متوالية وكونت لها حكماً مستقلاً عن حكم أمراء الموصل على الرغم من أن البعض منها كان يدين بالولاء لحكام الموصل.

* شهد ريف الموصل في عهد الدولة الحمدانية تطوراً في الجانب الاقتصادي مما كان له تأثيرٌ على ثرائه وعمرانه وتوسع تجارته. في حين شهد تأخراً نسبياً في زمن الدولة العقيلية بسبب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة على السلطة، وزاد الاضطراب أثناء سيطرة السلاجقة على الموصل مما أسهم في هجرة سكان ريف الموصل وتأخر الاقتصاد. وكان حكم الأتابكة للموصل وريفها يعد من أكثر الفترات ازدهاراً وتطوراً في المجالات كافة.

* إن مجتمع ريف الموصل وتنوعه سواء من حيث وجود القبائل (العربية والكردية والتركمانية وغيرها) أم الطوائف الدينية (المسلمين والنصارى وغيرهما) كان مجتمعاً مستقراً وشكّل منذ القدم وحدة اجتماعية متآلفة ولم يكن ذلك التنوع في يوم ما عائقاً أمام مسيرة حياة الناس في العطاء والتقدم في جميع المجالات.

* العلاقة بين الموصل وريفها علاقة تربطها روابط القرابة والمصالح المشتركة، فكان أحدهما مكملاً للآخر.

* أسهم ريف الموصل بنشاط الحركة التجارية بحكم وقوع بعض مناطقه على الطريق التجاري الذي يربط الموصل بالبلدان الأخرى، وكذلك إسهامه بتصدير ما ينتجه من الزراعة والثروة الحيوانية.

* إن الزراعة والثروة الحيوانية أهم ما يعول عليه المجتمع في ريف الموصل، وقد شكلا مورداً اقتصادياً مهماً للدولة، على الرغم من أن بعض الأمراء أتبع سياسة إقتصادية أثقلت كاهل الفلاحين.

* كان لبعض مناطق ريف الموصل نشاط علمي تمثل بوجود مؤسسات تعليمية ساعدت على نشر الوعي والعلوم بين الناس، ووجود الشيوخ والطلاب الذين أسهموا بتطور الكثير من العلوم المتنوعة كاللغة والأدب والتاريخ فضلاً عن العلوم الدينية، كما كان للبعض منهم تصانيف ومؤلفات أسهمت بتطور المعرفة العلمية.

تاريخ الطب في الموصل عبر العصور
للدكتور محمود الحاج قاسم

م.د.حنان عبد الخالق علي

صدر للمؤلف الدكتور محمود الحاج قاسم كتاب بعنوان (تاريخ الطب في الموصل عبر العصور) الذي طبع في نقابة الأطباء فرع نينوى سنة (٢٠٠٧) وتبلغ عدد صفحاته (٢٧١) صفحة، وهو كتاب يتعلق بتاريخ الطب في الموصل منذ القدم يبدأ من العصر الأشوري وحتى الوقت الحاضر.وقد تكونت الدراسة من مقدمة وستة فصول وقائمة بالمصادر التي اعتمدها المؤلف في دراسته فضلا عن فهرس الكتاب.

وفيما يخص مقدمة الكتاب فقد وضّح فيها المؤلف سبب اختياره لهذا الموضوع بحكم كونه طبيب وله اهتمامات بتاريخ مدينته لاسيما في مجال تاريخ الطب فضلا عن عناوين فصول الكتاب. ولماذا اختار مدينة الموصل بالذات ليكتب عن تاريخ الطب فيها ولم يختار مدينة اخرى من المدن العراقية.

وأما الفصل الأول فكان عنوانه : الطب القديم في الموصل (الطب الأشوري) وتمثّل بأقسام عديدة تخص الطب وهي التشريح، الفسلجة، الدراسات الطبية، الإمراض، العلاجات، الطب التجريبي، المستشفيات. وقد توصل المؤلف في هذا الفصل ان دراسة الطب عند الأشوريين لا تعني مقارنته بطب اليوم، ولكن دراسة تاريخ كل علم من العلوم حلقة متينة في ادراك ذلك العلم وتطوره وان ما نراه قليلا في انجازاتهم هو كثير اذا ما تذكرنا انهم هم البادئون وهم المبدعون.

اما الفصل الثاني فعنوانه : الطب في الموصل في العصر العربي الإسلامي (١٦ – ٩٢١ هـ / ٦٣٧ – ١٥١٥ م) اذ تحدث فيه المؤلف عن الطب في الموصل من الفتح الاسلامي لها سنة (١٦ هـ / ٦٣٧ م) في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وحتى وقوعها تحت السيطرة العثمانية. وذكر فيه انه كان لاهل الموصل عند فتح المسلمين لها طب متوارث من الاجداد وهو على نوعين : نوع متطور وهو طب المستوطنين الاوائل، واخر هو طب المستوطنين الجدد في الهجرات المتعاقبة من الجزيرة العربية.

وقسم المؤلف هذا الفصل الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : مشاهير الاطباء في الموصل : وقد وزعوا على ستة قرون هجرية ابتداء من القرن الثاني الهجري وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، وذكر المؤلف انه لم نعثر على ذكر لاطباء برزوا في الموصل قبل وبعد هذه القرون بالنسبة لهذه المرحلة التاريخية. ومن مشاهير الاطباء : الطبيب سعيد الموصلي الذي كان حيا في القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي)، والطبيب جابر بن منصور السكري الذي كان عالما بصناعة الطب، والطبيب عمار بن علي الموصلي الذي كان احد اطباء العيون المشهورين في الموصل.

القسم الثاني : التعليم الطبي والمستشفيات :

يمكن تقسيم اساليب تعليم الطب واعداد الاطباء في الموصل الى ثلاثة انواع هي :

١- المدراس : كثرت المدراس في الموصل حتى بلغت العشرات بسبب ازدهار الحركة الفكرية في القرن الخامس الهجري عندما اتخذها الاتابكة عاصمة لهم (٥٢٠ – ٦٦٠ هـ / ١١٢٦ – ١٢٦١ م) ومنها المدرسة النظامية، الاتابكية العتيقة، المهاجرية، الزينية، الكمالية، المجاهدية. ولكن على الرغم من كثرة المدارس في الموصل، فاننا لم نعثر على من يشير إلى أن الطب كان يدرّس بشكل ثابت ودائم في هذه المدارس، سوى إشارة لتدريس الطب في بعضها وهي المدرسة المهاجرية، والمدرسة الزينية.

٢- مجالس الأطباء : يتم تدريس الطب في مجالس تعقد في بيوت الاطباء او في المستشفى، إذ يقوم الطالب بالتدريب على يد طبيب مشهور ويدرس عليه بعض الكتب ثم ينتقل إلى أستاذ أخر حتى يتمكن بعدها من ممارسة الطب واشهر مجالس الطب في الموصل مجلس ابن ابي الاشعث، ومجلس محمد بن ثواب الموصلي، ومجلس مهذب الدين ابن هبل.

٣- البيمارستانات (المستشفيات): لقد ادرك الاطباء العرب والمسلمون منذ البدايات بأن الطب بأعتباره من العلوم التجريبية، لايمكن الاكتفاء بدراسته نظرياً وبعيداً عن المرضى، لذا اتخذوا المستشفيات كدور للعلاج والاستشفاء ومدارس لتعليم الطب نظريا وسريريا بممارسة المهنة. ومن البيمارستانات التي انشئت في الموصل خلال هذه الفترة :

١- بيمارستان داخل المدينة.

٢- بيمارستان في الربض الاسفل منها بناه مجاهد الدين قيماز على نهر دجلة مقابل جامعه.

٣- بيمارستان خاص بمعالجة المجانين.

القسم الثالث : الخدمات الطبية والوقائية التي نالت في الموصل اهتماما خاصا من قبل المسؤلين وتدخل في هذا المجال الرقابة الصحية والشروط المطلوبة في الحفاظ على نظافة وصحة المجتمع وتشمل نظافة المساجد، والاسواق، والطرق، ومحلات الاطعمة، والحمامات.

وقد خصص المؤلف الفصل الثالث للحديث عن الطب في الموصل خلال العهد العثماني (٩٢٢ – ١٣٣٦ هـ/ ١٥١٦ – ١٩١٨ م)، وعمل هذا الموضوع ضمن خمسة مباحث هي :

اولا : الطب الشعبي : فلم تكن ممارسة الطب في الموصل خلال الفترة العثمانية من تخصص الاطباء وحدهم، وانما كان يقوم به اصناف مختلفة وهؤلاء هم : طب يقوم به كبار السن عادة، والطب العطاري، والطب الروحي، والجراحة التي كان يقوم بها الحلاقون، والختانون،وجوالون يمارسون قلع الأسنان، والولادة والامراض النسائية التي كانت من تخصص القابلات والعجائز اللاتي يتوارثون المهنة.

ثانيا : مؤسسات دراسة الطب التقليدي : لم نجد ما يشير الى وجود مدارس متخصصة بتدريس وتخريج الاطباء في الموصل طيلة ذلك العهد. وان دراسة الطب كانت تجري في المدارس التي فيها علوم اخرى.

ثالثا : بدايات الطب الحديث : شهدت الموصل في القرنين الثامن والتاسع عشر حركة ثقافية متميزة في مجال الطب،اذ تحفز عدد من الشباب الموصلي للتخصص بدراسة الطب والبروز فيه خلال الفترات اللاحقة وهكذا اصبحت الموصل تقدم الخدمات الطبية ليس لسكانها فحسب بل ولسكان المناطق المجاورة.

رابعا : الاطباء : ابرز اطباء الموصل في الفترة العثمانية هم الذين عاشوا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومنهم محمد بن قاسم العبدلي الحكيم (١٠٨١ – ١١٦٤ هـ / ١٦٧٠ – ١٧٥٠ م)، ونعمان بن عثمان العمري الذي توفي سنة (١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م)، وقاسم بن فلح المولوي الموصلي، وعبد الله بن امين بن ياسين المفتي (ت ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م).

خامسا : المؤسسات الصحية في الموصل يمكن تقسيمها الى :

أ- **المستشفيات العسكرية وتشمل :**

١- مستشفى القشلة (الثكنة) العسكرية.

٢- مستشفى البلدية (الغرباء) والمدرسة الإعدادية.

٣- المستشفى المركزي الذي افتتح في المنازل.

٤- مستشفيات المقرات (الوحدات الطبية).

٥- دار النقاهة.

٦- مستشفى الهلال الأحمر العثماني في الموصل ومستشفى الصليب الأحمر الألماني في الموصل

ب- **المستشفيات المدنية وتشمل :**

١- مستشفى البلدية.

٢- مستشفى مدرسة الصناعة.

٣- مستشفى الهلال الأحمر العثماني.

ج- **المستوصفات وتشمل :**

١- طبابة البلدية.

٢- مستوصف الاباء الدومينيكان.

اما الفصل الرابع فهو الطب في الموصل في العهد الملكي (١٥١٦ – ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ – ١٩٥٨ م). وقد تحدث المؤلف في هذا الفصل عن تشكيل اول وزارة صحة في (١٩٥٢/٧/١٢) وتولي عبد الرحمن جودت منصب وزير الصحة. وعن الادارة الصحية في الموصل حيث انيطت مهمة ادارة ومتابعة الخدمات الصحية في لواء الموصل الى (رئاسة صحة الموصل) وعلى مديرها عنوان (رئيس صحة اللواء)، ثم المؤسسات الصحية التي شملت المستشفيات، والمستوصفات، والمعاهد والمختبرات. كما ذكر المؤلف ابرز النشاطات العلمية الطبية في تلك الفترة إلا وهي تشكيل الجمعية الطبية في الموصل في (١٩٢٣/١٢/٣) بدعوة من الدكتور باترسون رئيس صحة الموصل، وتدعو هذه الجمعية الى نشر الوعي الصحي وإلقاء المحاضرات التي تولت الصحافة الموصلية نشرها فضلا عن الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الموصل ومكافحتها منها مرض الجدري والتيفوس والملاريا.

وكان الفصل الخامس عن الطب في الموصل في العهد الجمهوري فقد قُسّم الى عدة فقرات هي :

أولا : الادارة الصحية، تولى عدة أطباء رئاسة الصحة في الموصل بعد اعلان الجمهورية في العراق سنة (١٩٥٨).

ثانيا : المؤسسات الصحية وشملت :

أ- المستشفيات داخل مدينة الموصل.

ب- مستشفيات أقضية الموصل.

ج-المراكز الصحية التابعة لرئاسة الصحة.

د-الطبابات الملحقة برئاسة الصحة.

هـ-المستوصفات والعيادات والمراكز الصحية داخل المدينة.

و-العيادات الطبية الشعبية وعيادات التأمين الصحي.

ز-كوادر المؤسسات الصحية في الموصل.

ح-العيادات الطبية الخيرية والتعاونية.

ط-التعليم الطبي المستمر.

ثالثا : الأوبئة والأمراض المعدية.

رابعا : التعليم الطبي والصحي وشمل :

أ- كليات المجموعة الطبية.

ب- التعليم الصحي.

خامسا : مصانع الأدوية

سادسا : النقابات والجمعيات الطبية.

اما الفصل السادس والأخير فهو الطب في الموصل بعد الاحتلال الامريكي للعراق بعد (٢٠٠٣/٤/١٢)، لقد حدثت فوضى عارمة في كافة مرافق ودوائر الدولة في كافة المحافظات ومنها دائرة الصحة في الموصل بعد الاحتلال، فقد تعرضت للسرقة واحترق

جزء من المبنى بما في ذلك الارشيف. كذلك كانت ثلاث مستشفيات قد نهبت بالكامل، وهي مستشفى الكمالية، ومستشفى اربيل العسكري، ومستشفى الموصل العسكري، كما تم نهب عدد من المراكز الصحية وقسم الرعاية الصحية الذي تم احراقه ايضا. وبعد ان استقرت الاوضاع، تم توسعة مركز دائرة الصحة بإضافة جناحين له، وفضلا عن ذلك فقد حصلت تطورات على المؤسسات الصحية في الموصل التي شملت المستشفيات، وكليات المجموعة الطبية في الموصل، والنقابات والجمعيات الطبية.

والحق المؤلف في نهاية الكتاب بحثا عن هجرة الاطباء من الموصل قبل وبعد الاحتلال شمل الأسباب والإحصائيات والمقترحات للحد من هذه الهجرة.

واعتمد المؤلف في دراسته على مجموعة من المصادر تأتي في المقدمة مصادر الكتاب التراثية ثم المصادر الحديثة والمصادر الاجنبية.